المرحلة الرابعة / التطبيقات الأدبية

الكورس الثاني / د مرتضى عبد النبي الشاوي

المحاضرة الأولى / المنهج البنيوي

المصطلح مشتق من كلمة بنية فالبنيوية لغة البناء أو الطريقة التي يقام بها مبنى ما ، واصطلاحاً تطلق على منهج فكري يقوم على البحث عن العلاقات التي تعطي للعناصر المتحدة قيمة وضعها في مجموع منتظم .

وهي باختصار أنّ البنيوية : هي دراسة النظام الخطابي الأدبي

وعرفها آخرون بأنّها : دراسة نظام العلاقات القائمة بين النظام .

وعرفها آخرون بأنها دراسة نظم العلاقات القائمة بين النظام الخطابي الأدبي ومن ثم تطبيقها على كل ما له علاقة به من (إنسان ، كون ، حياة) .

وقد قسم العلماء بنية الخطاب إلى :

١-اللغة : والمقصود بها لغة الخطاب التي تكون بين الكاتب والقارئ ويحكمها قوانين وأنظمة خاضعة للدراسة .

٢-الكلام : وهي اللغة العادية التي يتحدث بها العامة مع بعضهم بعضاً دون تحديد نوعية المتحدث كما هو في اللغة ، ويكون فيها التطبيق الفعلي لتلك القوانين والأنظمة .

تعددت الدراسات حول البنيوية لتشمل دراسة كل ما له علاقة بالعقل البشري ودراسة البنية الصغيرة هي بنية العقل البشري مما أدى الى دراسة العلوم والفيزياء لارتباطهما الوثيق بالعقل البشري .

يعد النقد البنيوي أساسا تيارا نقديا ضمن تيارات نقدية عديدة ، تنظر إلى النص الأدبي كيلناً لغويا قائما بذاته ، ومن ثم ينصب اهتمامها على تحليل النص من حيث ألفاظه وجمله وتراكيبه ومجازاته وصوره الشعرية .

ويعد المنهج البنيوي من أهم المناهج النصية الداخلية التي تدرس دخل النص وبنيته وتغض النظر عما يقع خارج النص فكل نص من النصوص الآتية يصلح أن يكون ميداناً لتحليل المناهج النقدية المختلفة .

فالمنهج التاريخي يأخذ النص بوصفه انعكاسا للواقع الاجتماعي والتاريخي ، والمنهج النفساني الذي أفاد من معطيات التحليل النفسي الفرويدي الذي يرى النصوص الأدبية بوصفها تمثيلاً رمزياً لمعطيات لا واعية مكبوتة في نفس الفنان أو الأديب .

فالمناهج النقدية تتعدد بتعدد وجهات النظر التي ترى فيها النص الأدبي وهكذا تتنوع قدرة هذه المناهج على معرفة طبيعة النص بل كل منها يتخصص بالجانب الخاص الذي ينطلق منه لمعرفة النص .

ويعد المنهج البنيوي أجدر المناهج النقدية في معرفة البنية الداخلية للنص وهو منهج منحدر من علم اللغة الحديث .

يرى المنهج البنيوي النص بنية لغوية مقفلة على نفسها أي أنه يدرسها بعيدا عن علاقتها بما عداها من مسائل وقضايا يطلق عليها خارج النص مثل حياة المؤلف وظروف كتابة النص وغير ذلك وهذا هو المبدأ الثاني من مبادئ المنهج البنيوي .

تتشكل البنية في النص الأدبي من مجموعة العلاقات بين عناصر النص فالعناصر في حد ذاتها لا أهمية لها وانما تكمن الأهمية في مجموع النص بعناصره المرتبطة فيما بينها بروابط خاصة وهذا المبدأ الثالث .

ان النقد النيوي يتمركز حول النص ويعزله عن كل شيء (المؤلف والمجتمع والظروف التي نشأ فيها) فالعمل الأدبي كله دال ، وجوهر النقد البنيوي هو التحليل وليس التقويم وبرفض البنيويون مفهوم المؤلف الأدبي لأنهم ينبذون مباديء الالهام والخلق الأدبي ورسالة الكاتب أو العمل الفني كونها تؤدي الى الغاء النص والقضاء على وجوده .

النقد البنيوي يعد العمل الأدبي كلا مكوناً من عناصر مختلفة متكاملة على اساس مستويات متعددة في كلا الاتجاهين الأفقي والرأسي في نظام متعدد الجوانب ويقترح البنيويون ترتيب هذه المستويات :

١-المستوى الصوتي : تدرس فيه الحروف ورمزيتها وتكويناتها الموسيقية من نبر وتنغيم وايقاع .

٢-المستوى الصرفي وتدرس فيه الوحدات الصرفية ووظيفتها في التكوين اللغوي والأدبي خاصة .

٣-المستوى المعجمي وتدرس فيه الكلمات لمعرفة خصائصها الحسية والتجريدية والحيوية والمستوى الاسلوبي لها .

٤-المستوى النحوي لدراسة تأليف وتركيب الجمل وطرق تكوينها وخصائصها الدلالية والجمالية .

٥-مستوى القول لتحليل تراكيب الجمل الكبرة لمعرفة خصائصها الاساسية والثانوية

٦–المستوى الدلالي تحليل المعاني المباشرة وغير المباشرة والصور المتصلة بالأنظمة الخارجة عل حدود اللغة التي ترتبط بعلوم النفس والاجتماع

٧–المستوى الرمزي الذي تقوم فيه المستويات السابقة بدور الجال الجديد الذي ينتج مدلولا أدبيا جديداً يقود بدوره الى المعنى الثاني أو ما يسمى باللغة داخل اللغة .

نذكر نصا أدبيا في المنهج البنيوي قصيدة (الجذوع) للشاعر العراقي حسب الشيخ جعفر التي يقول في مطلعها :

((تحير الدرويش بين عالمين

محترق اللسان واليدين

كجذع نخلة قديم

منجرد عقيم

يشد عينيه إلى الوراء

لا شيء غير حفنة من زبد البحار

وما تثير الريح من غبار

والأرض والسماء))

فالنص قائم على المقابلة بين نوعين من المكونات المتباينة المختلفة التي يمثل كل منها عالماً محدوداً ويقف الشاعر أو الدرويش أو أي شخص آخر –كما يريد النص –متحيراً بين هذين العالمين ففي المقع يكون (الوراء) بكلّ ما يعينه من ماض زماني أو عالم مكاني عبارة عن لا شيء سوى ما يدخل على الوهم والأرض والسماء .

أما المقطع الآتي :

((يشد عينه إلى الأمام

لا شيء غير كومة من العظام

وجره مكسورة تغور بالظلام

والأرض والسماء))

فيكون العالم الثاني ممثلاً بـ(الأمام) ، أيضا هو عبارة عن لا شيء سوى ما يدل على الوهم والأرض والسماء وهكذا يستمر النص الشعري متوتراً ومتحيراً بين هذين العالمين ، يقول الشاعر :

((لا توقظ الصمت – ولا تعانق الدخان

ولا تحطم جرة الزمان

لا شيء غير حفنة من زبد البحار

وما تثير الريح من غبار))

وهو خاتمة قصيدته ، فالنص يعبر عن روح الحيرة والتردد في مواجهة هذا العالم المتناقض والمنقسم على نفسه إلى مصيرين مختلفين غير أن النتيجة على وفق القصيدة واحدة حتمية هي : لا شيء .

نستنتج بشكل عام أننا في التحليل البنيوي للقصيدة لم نتحدث عن خارجيات النص : مناسبة القصيدة ، حية الشاعر وما إلى ذلك ، وانما تركز التحليل على طبيعة النص كما أن التحليل أهتم بالعلاقات بين عناصر النص ولم يبحث في معاني أجزائه بل انطلق من البنية الرئيسة ليقيس بها مختلف صور النص الشعرية .